محاضرات شهر ماي

المقياس: تاريخ الجزائر الاقتصادي (الفترة الحديثة)

المستوى: ماستر 1

الأستاذ: خميسي عبد الحميد

محاضرة بعنوان : القرصنة البحرية الجزائرية نشاط اقتصادي la course activité économique

مدخل : اعتبرت القرصنة البحرية لصوصية لدى البعض من المؤرخين piraterie و بخاصة الأوروبيين منهم لأنها كانت تتنافى مع مصالح دولهم من الناحية الاقتصادية و السياسية و تضرب هيبتها في الصميم . أما المدافعين عنها فيرون أنها جهاد بحري الغرض منه هو إظهار روح المقاومة لدى الطرف الأضعف في هذا الصراع. و الحقيقة بالنسبة لنا هي أن القرصنة و بعيدا عن الخلط المقصود في التسميات شيء آخر . فهي نشاط اقتصادي له أدواته الخاصة و تنظيماته . و اعتمدنا في هذا الرأي على كتابات بعض المفكرين الاقتصاديين الكبار أمثال(werner Sombart (le bourgeois 1913 الذي اعتبر القرصنة نشاط اقتصادي صاحب النمو الكبير الذي حققته المدن الإيطالية منذ العصور الوسطى و حتى عصر النهضة . و ان القرصنة لم تكن عملا مشينا بل أنها كانت مؤسسة قام عليها الرخاء الاقتصاذي. و كانت كل المدن البحرية تمارس القرصنة حتى غدت منأهم وسائل تحقيق الثراء. لم تخرج مدينة الجزائر عن هذه القاعدة . فالخروج الى البحر من أجل القرصنة كان يهم كل سكان المدينة من الباشا الى الدلّال. فلكل حصته من الغنائم حسب اسهاماته في تجهيز السفن.

كانت السفن الجزائرية تستهدف كل السفن المسيحية التابعة للدول غير المعاهدة للجزائر. اما ما إذا كانت السفن الجزائرية معرضة هي الأخرى للقراصنة السيحيين فالإجابة نعم سوى أن الجزائر لم تكن لها تجارة في البحر المتوسط كما كانت في العصور الوسطى.

و عليه فالقرصنة البحرية الجزائرية هي وليدة الصراع المسيحي الإسلامي الذي احتدم في أوائل القرن 16 م عندما أصبحت سواحل المغرب الأوسط تحت رحمة الأسطول الإسباني الذي احتل وهران و مسى الكبير ثم بجاية و أقام قلعة البينون قبالة ساحل مدينة الجزائر.

استمر هذا النشاط منذ ذلك الوقت الى غاية القرن 19 أين اتفقت الدول المسيحية أو قل الرأسمالية على تجريمه . وبما أن حكام الجزائر تعودوا على مناورة الدول و التسويف في وقف القرصنة فقد تعرضت

البلاد الى حملات بحرية و تحالفات أدت في النهاية الى إضعاف الجزائر ثم وقوعها ثمرة ناضجة تحت الاحتلال الفرنسي عام 1830 م .

عصر القرصنة : بدأت القرصنة كما رأينا في القرن 16 مع الإخوة بربروس . فقد جمع هؤلاء ثروات طائلة . فكانت لخير الدين املاكا و عقارات كثيرة بالاضافة الى امتلاكه عديد السفن و المراكب عليها الئات من العبيد المجدفين و كانت لخلفائه من البالربايات ايصا ثروات لا حصر لها.

اما بالجزائر فكان بربروس يمتلك العديد من العقارات منها دار خير الدين في اعالي القصبة. كما كان الباشوات و الرياس يمتلكون قصورا و جنان و حمامات. و حسب دافيتي فإن بعض المسؤولين و التجاركانوا يستثمرون حتى 200000 اوقية في تجهيز سفن القرصنة. و يعتبر القرن 17 م عصرا ذهبيا للقرصنة فابراهيم باشا 1658-59 قبيل صدور قرار عزله ارسل الى اسطمبول 200000 قرش و نفس الشيء يقال عن ابراهيم كولوغلي فقد كانت بخزنته الشخصية 180000 قطعة ثمن. في 1688 م توفي الريس كاناري فوجدت بخزنته 500000 قرش و كان يخزن كميات من الضائع .

الثروات الكبرى في عهد الدايات 1710- 1830 الدايات ينتمون بالأساس للطائفة و عليه حققوا ثروات ضخمة و نذكر منهم :

محمد بن بكير المعروف بتورتو 1748- 1749 م كان يمتلك اكثر من مليون قرش لكنه تنازل عنه للخزينة.

محمد بن عثمان باشا 1766- 1791 م ذكره أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف و نوه بخصاله و ذكر أهم أعماله في مجال البناء و جلب المياه للعاصمة تبرع للخزينة ب 200000 قطعة سلطاني.

و هذه سوى امثلة لا ترقى الى الحقيقة الكاملة.

و على العموم كانت القرصنة مصدرا هاما للثراء كما كانت مصدرا للمواد الأولية و التجهيزات و الأدوات الإنتاجية و حتى للمواد الغذائية و الاستهلاكية تباع في اسواق المدينة باسعار منخفضة و بذلك تعم الفائدة و هو ما يفسر اهتمام سكان المدينة بتجهيز و خروج الآسطول ثم عودته الى الجزائر المحروسة.